شروط التقويم التكويني وأهميته والنفع من الحصيلة اللغوية للتلميذ

الأستاذ دوقة أحمد
كلية العلوم الاجتماعية
قسم علم النفس

ملخص البحث

شروط التقويم التكويني وأهميته
والدفع من الحصيلة اللغوية للتلميذ:
.98 / 13 / 1601 R

إشكالية البحث :

لقد جاء التصور الجديد لمفهوم التقويم وهو التقويم بالرجوع إلى مدى تحقيق الأهداف التعليمية المسطرة بدلا من مقارنة نتائج التلاميذ بزملائهم في القسم، نتيجة لدراسات عديدة في مجال علم النفس الفارقي (Cardinet : 1988) وكذلك الأبحاث حول التدريس بالأهداف (Bloom : 1972) فما تبين من تلك الدراسات والبحوث هو أن العملية التعليمية لا يمكن أن تكون فعالة وناجعة إلا إذا أعطي الاهتمام الكافي واللازم لعملية التقويم بصفة عامة وعملية التقويم التكويني بصفة خاصة والتي يعود استخدامها في الأصل إلى سكيرفن وكرومباخ (Legendre : R: 1988) ومن حيث طبيعته فالتقويم التكويني يندرج في إطار الإسناد البيداغوجي الفوري أو بعبارة أخرى المساعدة الفورية أي تلك التي تقدم للتلميذ وهو يمارس عملية التعلم. إن مسعى التقويم التكويني يتجلى في إشعار التلميذ والمعلم بكيفية مستمرة بالصعوبات التي تعترض سيرورة التعلم والتقدم وكذا الكيفية التي يتبعها التلميذ من أجل التعلم. إن التقويم التكويني يكشف الصعوبات التي تواجه التلميذ بغية مساعدته على اكتشاف الوسائل التي تمكنه من تذليل العقبات وتخطي الصعوبات لإفراز، تقدم في الوقت المناسب. فهو بذلك يسلط الأضواء على مواطن الضعف ما هو إيجابي وإصلاح ما هو سلبي في عملية التعلم، وبهذا يتبين أن التقويم التكويني يندرج ضمن إطار بيداغوجية الخطأ.

وللتقويم التكويني دور بعد عملية التعلم حيث يمكن من التحقق من درجة بلوغ الأهداف قصد تعزيزها وإلا ــ وفي حالة عدم بلوغها ــ العودة إلى الوضعيات البيداغوجية السابقة.

لكن ورغم أهمية التقويم التكويني فإن الملاحظات الميدانية تشير إلى أن العملية التعليمية في مختلف المؤسسات التربوية لا زالت تفتقر في الوقت الراهن إلى من يحسن استخدام التقويم التكويني بخصائصه ومتطلباته، وذلك بالأخص في مادة اللغة التي تعتبر أرضية الانطلاق بالنسبة لمختلف النشاطات التعليمية الأخرى، ومن بين أسباب هذا الافتقار انعدام الرؤية الواضحة لدى المدرسين لما يريدون تحقيقه من التعلم لدى التلاميذ من قدرات ومهارات. فالذي يشغل المدرسين هو إنجاز الدروس في حد ذاتها وليس الأثر الذي تتركه تلك الدروس على التلاميذ.

بالإضافة إلى ذلك فإن التقويم التكويني وبحكمه أداة للتحكم في سيرورة التعلم والقيام بفعل التغذية الراجعة (Feed - back) يرتبط بالقدرة على المحاورة والتواصل مع التلاميذ على اختلاف شخصياتهم وسنهم ومستوى نموهم المعرفي، ومن الملاحظ أن تلك القدرة ليست متوفرة لدى فئة كبيرة من المدرسين الذين لا يبدون اهتماما كافيا بالنواحي الوظيفية للغة. فهم يفضلون عادة المناقشات النظرية والإيضاحات المجردة عند تدريس مادة اللغة. كما أن الكثير منهم اعتاد على طريقة الإلقاء والتي تقوم على الشرح والحديث من جانب واحد مع احتكار معظم الوقت المخصص للدرس.

إن ضعف التصور التقليدي لمفهوم التقويم يكمن في تركيزه على التقويم التحصيلي الذي يعتبر أن هدف العملية التعليمية هو تدريس وتلقين التلاميذ معلومات ومعارف ثم تقيمهم على أساس مستوى أداء التلميذ المتوسط في القسم.

إن النظرة التقليدية لمفهوم التقويم تعتمد اعتمادا كليا على المجموعة التي يوجد فيها التلميذ وهي التي يتخذها المعلم كمرجع أو محك يستند إليه لتقويم نجاعة دروسه.

أما التصور الحديث لعملية التقويم فهو يرتكز على المبدأ الذي مفاده أن التربية وسيلة من شأنها أن تقود كل التلاميذ إلى التحكم في المعرفة أي ضرورة مراعاة مختلف الفروق الفردية بين التلاميذ ويعود الفضل في أصل

هذا التحول في معنى مفهوم التقويم إلـى أعمـال (Bloom : 1972) وخاصـة بيداغوجية الأهداف والتي طورها (Cardinet. 1988) تحت اسـم البيداغوجيـة الفارقية.

وتعد أعمال كرديني بمثابة نقطة التحول من بيداغوجية تـهتم فقـط بعملية التعليم أي بالشروط التي ينبغي تحقيقها حتـى يكـون الـدرس فـي المستوى المطلوب إلى بيداغوجية التعلم المرتكزة على التلميذ بالدرجة الأولى بحيث يراعى فيها تباين التلاميذ من حيث قدراتهم واستعداداتهم. وذلـك هـو محور التقويم التكويني والذي يتخذ الأهداف البيداغوجيـة كمرجـع أساسـي لعملية التقويم.

فالتقويم التكويني حسب كل من بلوم وهاسـتنق ومـادوس (Bloom : Hasting : Madans : 1971.) هو عبارة عن استعمال منظم لعمليـة التقويـم فـي مجال بناء البرامج، التدريس والتعلم قصد التحسين من نجاعة تلك العمليـات الثلاث وهذا ما يؤكده (Bloock :1971) الذي يرى بأن التقويم التكوينـي جعـل لكي يكون جزءا لا يتجزأ من عمليات التعلم والتدريس لأنه يسـمح بالتغذيـة الراجعة لكل التلاميـذ والمـدرس حتـى يحسـنوا مـن مسـتوى أدائـهم. ويركز البحث التالي على محاولة إبراز أهمية دور التقويم التكويني في تدعيم العمليتين الأساسيتين المشار إليهما سابقا وهما من جهة العملية المتعلقة بتعلـم التلميذ لمادة اللغة العربية ومن جهة أخرى العملية الخاصة بتدريـس اللغـة العربية.

أما التركيز على الحصيلة اللغوية فهو راجع إلى كـون اللغـة هـي الوسيلة التي يتحقق بفضلها مضمون التعليم في سائر المواد الأخـرى، فـهي بالتالي الغاية التي يسعى التعليم إلى تحقيقها. وكمـا جـاء عـن (المعـهد التربوي، 1983) فإن اللغة هي بمثابة الأداة التي بفضلها يكتسب الطفـل أدوات التعلم ووسائل الاتصال وبالتالي يستكمل أسباب النمو النفسي والحركي.

فإذا تمكنت الهيئة التربوية من تحسين وتعزيز عملية التقويم التكوينـي في مادة اللغة، فإن ذلك لا محالة سيعود بفوائد كثيرة على التلميذ الذي يصبـح

قادرا على فهم ما يقرأه ويسمعه فهما صحيحا، وعلى المدرس الذي يضحـــي قادرا على تحسين طريقة تدريسه لمادة اللغة.

لكن ما هي حالة التقويم التكويني فيما يخص مادة اللغة في مدارســنا؟ وهل واكب التقويم التكويني التدريس بالأهداف الذي شرع فيه مؤخرا ؟ و إذا كانت هناك فجوة بين التدريس بالأهداف والتقويم التكويني فما هي مؤشـــرات تلك الفجوة حتى يتمكن من تحديد الشروط التي يجب توفيرها لنجاح التقويـــم التكويني؟

كل هذا التساؤلات يمكن تلخيصها في المشـــكل الأساســي للبحـــث المقترح وهو "ما هي الشروط والعوامل الأساسية التي يجب أن تتوفر حتـــى يتماشى التقويم التكويني مع طريقة التدريس بالأهداف وذلك حتـــى نضمـــن الرفع من الحصيلة اللغوية للتلميذ في المدرسة ؟

فرضيات البحث:

1) أغلبية مدرسي اللغة العربية غير متمكنين من التدريس بالأهداف.
2) أغلبية مدرسي اللغة العربية غير متمكنين من ممارسة عملية التقويم التكويني.
3) يرجع الفرق بين التلاميذ المتفوقين والتلاميذ الضعاف في مادة اللغـة إلى تمكن مدرسيهم من التدريس بالأهداف.
4) يرجع الفرق بين التلاميذ المتفوقين والتلاميذ الضعاف في مادة اللغـة إلى تمكن مدرسيهم من ممارسة عملية التقويم.
5) هناك علاقة ارتباطية وإيجابية بين نتائج التلاميذ فـــي مـــادة اللغـــة العربية ومتوسط تحصيلهم في المواد المعرفية الأخرى.

أهمية وأهداف البحث:

يعتبر التقويم في العملية التعليمية عنصرا هاما فالحكم على نجـــاح أو فشل التدريس يتطلب امتلاك حد أدنى من الكفاءة والتدريس والمعـــارف فـــي علم التقويم الذي يقوم على أسس عملية واضحة.

إن الاتجاه الحديث في التعليم يعتبر كذلك التقويم أوسع وأعمق مـــن مجرد رصد لنتائج وعلامات المتعلمين. إن التقويم الصحيح هو الذي يتدخـــل في نسيج شخصية المتعلم بحيث يساهم في تطوير مهارات المتعلم بمختلـــف أنواعها.

ومن هنا تكمن أهمية هذا البحث والتي يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

1) ندرة الدراسات حول التقويم التربوي في الجزائر. فهذا البحث جـاء لإثراء الأدب التربوي في هذا المجال.
2) مساعدة المدرسين وكل من لهم علاقة بالتربية والتعليم علـى إلقـاء الضوء على نوعية التكوين الذي يتلقاه المدرس حول موضوع التقويـــم التكويني في المعاهد التكنولوجية للتربية وعلاقته بالحصيلة اللغوية لـدى تلميذ الطور الثالث من التعليم الأساسي لما له من أهمية على المســـتقبل الدراسي لذلك التلميذ.
3) تناول البحث لمشكلة من أهم المشـــاكل التربويـــة والمتمثلـــة فـــي الحصيلة اللغوية لدى التلاميذ، وذلك عن طريق تشخيص العلاقـــة بيـــن المعارف النظرية التي تحصل عليها المدرس فـــي موضـــوع التقويـــم التكويني واللغة اللغوية لتلاميذ في مادة التعبير بصفة خاصـــة واللغـــة بصفة عامة. فالشعور بعدم تحكم المتمدرسين في مادة اللغة يزداد مـــن سنة إلى أخرى وهذا ما يشجع مثل هذا البحث.
4) استفادة واضعي السياسة التكوينية للمعلمين و الأساتذة من نتائج هـذا البحث لمراجعة أساليب التكوين المعمـــول بـــها حاليـــا فـــي المعـــاهد التكنولوجية. كذلك يمكن القول بأن هذا البحـــث مـــن خـــلال النتـــائج المتوقعة، يعتبر بداية لبعض المشاريع العلمية في قطاع التربية والتعليـم، خصوصا إذا علمنا أن حقل التعليم لم تمتد إليه كثيرا يد البحث العلمـــي باستثناء بعض المحاولات المحتشمة. ومثل هذه البحوث هي الكفيلة بحل المشاكل التربوية التي تراكمت على المنظومة التربوية الوطنية.

خطة البحث:

لقد سمحت الدراسة الاستطلاعية بمراجعة خطة البحث النهائية من حيث الأداة المناسبة للدراسة وكذلك حجم العينة المناسب في مثل هذه البحوث وخصائص العينة التي ينوى الباحثون إجراء الدراسة عليها. وعليه جاءت خطة البحث كالتالي:

يتطلب البحث استعمال المنهج المسحي الوصفي للوقوف على أهم الجوانب الإيجابية والسلبية لمستوى تحكم وتمكن المدرسين للتدريس بالأهداف وأساليب التقويم الحديث وبخاصة التقويم التكويني.

وتشمل الدراسة عددا كبيرا من مدرسي الطور الثالث بالمدرسة الأساسية (السنة السابعة والثامنة) والذين سبق لهم أن استفادوا من تكوين بالمعاهد التكنولوجية. هذا من جهة ومن جهة أخرى يعتمد في هذا البحث على المنهج المسحي المقارن كذلك قصد إبراز العوامل التي تميز عينة المدرسين المتمكنين من التقويم التكويني و أولئك الذين يجدون صعوبات في فهم أساليب التقويم التكويني. كما يتطلب البحث إجراء مقارنة بين نتائج التلاميذ بالنسبة لفئتي المدرسين المذكورتين سابقا وذلك في مادة اللغة العربية.

أما بخصوص أدوات البحث المناسبة في هذه الدراسة فهي تتمثل في إجراء مقابلة نصف موجهة مع المدرسين وفي اختبار يقيس القدرة على التعبير الكتابي وكذلك مجموع كشوف التلاميذ في مادة اللغة العربية وفي سائر المواد الدراسية الأخرى.

ولمعالجة مختلف نتائج البحث سيتم اللجوء إلى أسلوب تحليل المحتوى لمعالجة إيجابيات المدرسين حول أسئلة المقابلة وبعض الاختبارات الأخصائية الاستدلالية مثل اختبار(X2) واختبار(T) لمعالجة الفروق في الحصيلة اللغوية وكذا مؤشر الارتباط (r) للتعرف على العلاقة الارتباطية بين الحصيلة اللغوية والتحصيل في المواد الأخرى.

أما عن أهم النتائج المتوقعة من خلال إنجاز هذا البحث فهي الخروج بقائمة لأهم الأسباب أو المعيقات التي تقف أمام تمكن المدرسين من فهم أساليب التدريس بالأهداف وكذا مفهوم التقويم التكويني بالنسبة لمادة اللغة.

هذا من جهة ومن جهة أخرى توضيح أهمية الحصيلة اللغويـــة مـــن خـــلال إبراز العلاقة بين الحصيلة اللغوية والتحصيل في المواد الأخرى.